# المَوت

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



خطب الشيخ
محمد حسان

دار ابن رجب



# المـوت

الحمد لله الذي أنهى بالموت آمال القياصرة ، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمات اللحود ، ومن ملاعبة الجواري والنساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعم في ألوان الطعام والشراب إلى التمرغ في ألوان الوحل والتراب !!

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ينادى يوم القيامة بعد فناء خلقه ويقول : أنا الملك ..!! أنا الجبار ..!! أنا المتكبر ..!!

ثم يقول : لمن الملك اليوم ..؟؟! فيجيب على ذاته سبحانه !! لله الواحد القهار .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، أدَّى الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة فكشف الله به الغمة ولبى نداء ربه حتى أجاب مناديه ، ومشى

طوال أيامه ولياليه على شوك الأسى يخطو على جمر الكيد والعنت ، يلتمس الطريق لهداية الضالين وإرشاد الحائرين ، حتى عَلَّم الجاهل ، وَقوَّم المعوج ، وَأَمَّن الخائف ، وطَمْأَن القلق ونشر أضواء الحق والخير والتوحيد والإيمان كما تنشر الشمس ضياءها في سائر الأكوان .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه ، رفع الله له ذكره وشرح صدره وزكَّاه ربه على جميع

خلقه ، ومع ذلك خاطبه ربه بقوله : ﴿ إِنَّكَ مَيتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ﴾ [ الزمر - ٣٠ ]

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

**أيها الخيار الكرام**

لقد بين الله جل وعلا لنا الغاية التي من أجلها خلقنا فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ

الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [ الذاريات : ٥٦ ]

بل وبين لنا حقيقة الدنيا التي جعلها محل اختبار لنا فقال سبحانه : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [ الحديد : ٢٠ ]

وأكد الحبيب المصطفى هذه الحقيقة في حديثه الصحيح الذي رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال ﷺ :

(( **لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَة مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ** ))[1].

فالدنيا حقيرة عند الله أعطاها للمؤمن والكافر على السواء ، فلو كانت تزن عند الله

---

(١) رواه الترمذي رقم ( ٢٣٢١ ) في الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ ، وابن ماجة رقم ( ٢٤١٠ ) في الزهد ، باب مثل الدنيا ، وهو في صحيح الجامع رقم ( ٥٢٩٢ ) .

جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا قط شربة ماء واحدة ، لذا كان المصطفى ﷺ يوصي أحبابه بعدم الركون والطمأنينة إلى هذه الدار الفانية لا محالة ، كما أوصى بذلك عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - كما في صحيح البخاري : « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » ، وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن

حياتك لموتك ، ورحم الله من قال :

إنَّ لِلَّــهِ عِبَــادًا فَطِنَــا
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَـا
نَظَـرُوا فِيهَــا فَلَـمَّا عَلِمُــوا
أَنَّهَـا لَيْسَـتْ لِحَــيٍّ وَطَنــا
جَعَلُوهَـا لُجَّــةً وَاتَّخَــذُوا
صَالِحَ الأَعْمَـالِ فِيهَـا سُفنَا

فالفطناء العقلاء هم الذين عرفوا حقيقة الدار ، فحرثوها وزرعوها ... وفى الآخرة

حصدوها .

فالذم الوارد في القرآن والسنة للدنيا لا يرجع إلى زمانها من ليل ونهار فلقد جعل الله الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ، والذم الوارد للدنيا في الكتاب والسنة لا يرجع إلى مكانها ألا وهو الأرض ، إذ أن الله قد جعل الأرض لبني آدم سكنًا ومستقرًّا .

والذم الوارد في القرآن والسنة لا يرجع إلى

ما أودعها الله ﷻ من خيرات ، فهذه الخيرات نعم الله على عباده وجميع خلقه .

إنما الذم الوارد في القرآن والسنة يرجع إلى كل معصية ترتكب في حق ربنا جل وعلا .

إذاً لابد وحتما من تأصيل هذا الفهم الدقيق لا سيما لإخواننا الدعاة وطلاب العلم الذين ربما يغيب عن أذهانهم حقيقة الزهد في هذه الحياة الدنيا ، فنحن لا نريد أن نُقَنِّتْ أحداً من هذه الدنيا ، ولا نريد أن نثبت لعامل في

هذه الدنيا ولو كان في الحلال أنه قد تجاوز عن طريق الأنبياء والصالحين والأولياء ... كلا ..! كلا ..!! بل الدنيا مزرعة للآخرة .

**تدبر معي قول على ﷺ وهو يقول** : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن أخذ منها ، الدنيا مهبط وحي الأنبياء ومصلى أنبياء الله ومتجر أولياء الله .

فالدنيا مزرعة للآخرة فتدبر معي هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم

من حديث أنس قال النبي ﷺ : (( **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ** ))(١) .

إذًا لابد من هذا التأصيل والفهم العميق لحقيقة الدنيا ، لننطلق من هذه الدار الفانية إلى دار تجمع بين سلامة الأبدان والأديان ..

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم ( ٢٣٢٠ ) ، في الحرث والمزارعة ، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ، ومسلم رقم ( ١٥٥٣) في المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع ، والترمذي رقم ( ١٣٨٢ ) في الأحكام ، باب ما جاء في فضل الغرس .

دار القرار .

فلابد قبل العبور إلى دار القرار من المرور من دار الفناء ، فالدنيا دار ممر والآخرة هي دار المقر ، الدنيا مركب عبور لا منزل حبور ، الدنيا دار فناء لا دار بقاء ، لابد من وعي هذه الحقيقة التي لا مراء فيها ؛ لنزرع هنا بذورًا ، لنجني هنالك ثمارًا .

**فاعلم أيها الحبيب** هذه الحقائق جيدًا ، وكن على يقين جازم بأن الحياة في هذه الدنيا

موقوتة محدودة بأجل ، ثم تأتي نهايتها حتمًا لابد ، فيموت الصالحون .. ويموت الطالحون .. يموت المجاهدون .. ويموت القاعدون .. يموت المستعلون بالعقيدة .. ويموت المستذلون للعبيد .. يموت الشرفاء الذين يأبون الضيم ويكرهون الذل ، والجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن .. الكل يموت .

قال الله جل وعلا : ﴿ **كُل مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ۝

وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾

[ الرحمن : ٢٦ - ٢٧ ]

فلابد أن تستقر هذه الحقيقة في القلب والعقل معًـا ، إنها الحقيقة التي تعلن بوضوح تام على مدى الزمان والمكان في أذن كل سامع وعقل كل مفكر أنه لا بقاء إلا للملك الحي الذي لا يموت ، إنها الحقيقة التي تصبغ الحياة البشرية كلها بصبغة العبودية والذل لقاهر السموات والأرض !!

إنها الحقيقة التي شرب كأسها تباعًا الأنبياء

والمرسلون بل والعصاة والطائعون !!

إنها الحقيقة التي تذكرنا كل لحظة من لحظات الزمن بقول الحي الذي لا يموت : ﴿ **لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ [القصص: ٨٨]

**أيها الحبيب**: تذكر هذه الحقيقة ولا تتغافل عنها إذ أن النبي أمرنا أن نكثر من ذكرها كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والحاكم وغيرهم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : (( **أَكْثِرُوا**

مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذاتِ ( الموت ) ))[1] .

**إنها الحقيقة التي سماها الله في قرآنه بالحق**

فقال جل وعلا : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ ق : ١٩ - ٢١ ]

لا إله إلا الله ... الله أكبر ... الله أكبر

---

(١) رواه الترمذي رقم ( ٢٣٠٨ ) ، في الزهد ، باب ما جاء في ذكر الموت ، والنسائي ( ٤/٤ ) ، في الجنائز ، باب كثرة ذكر الموت ، وهو في **صحيح الجامع** رقم (١٢١٠) .

إن للموت لسكرات ... هل علمت إن هذه الكلمات قالها حبيب رب الأرض والسماوات وهو يحتضر على فراش الموت ؟

روى البخاري عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : مات رسول الله ﷺ بين حاقنتي وذاقنتي وكان بين يديه ركوة ( علبة ) بها ماء فكان يمد يده في داخل الماء ويمسح وجهه بأبي هو وأمي ويقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا الله إِنَّ

لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ »[1] .

هكذا يقول حبيب رب الأرض والسماوات إن للموت لسكرات !! حبيب الرحمن يذوق سكرة الموت ، فما بالنا نحن ؟!!

وفي رواية الترمذي كان الحبيب ﷺ يقول : « إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ » .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم ( ٤٤٤٩ ) ، في المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ، ومسلم رقم ( ٤١٨ ) في الصلاة ، باب استخلاف الإمام .

وفى رواية كان ﷺ يدعو الله ويقول : (( **اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى سَكَرَاتِ المَوْتِ** )) ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ** ﴾ .

وما أدراك ما السكرات ..! وما أدراك ما الكربات ..! في هذه اللحظات يزداد الهم والكرب ، في لحظات السكرات إذا نمت يا ابن آدم على فراش الموت ورأيت في غرفتك التي أنت فيها دون أن يرى غيرك ، رأيت شيطانًا جلس عند رأسك يريد الشيطان أن

يضلك عن كلمة الإخلاص « **لا إله إلا الله** » يريد الشيطان أن يصدك عنها ، يقول لك : مُت يهوديًّا فإنه خير الأديان ، يقول لك : مُت نصرانيًّا فإنه خير الأديان .

واستدل أهل العلم على ذلك بصدر حديث صحيح رواه الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ الشَّيطَانَ يَحْضُـرُ كُلَّ شَـيءٍ لابنِ** آدَمَ .. » .

**وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية** - طَيَّبَ الله

ثراه - عن مسألة عَرْض الأديان على ابن آدم في فراش الموت ، فقال في مجموع الفتاوى[1] : من الناس من تعرض عليه الأديان ومنهم من لا يعرض عليه شيء قبل موته ، ثم قال : ولكنها من الفتن التي أمرنا النبي أن نستعيذ منها في قوله ﷺ: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ فِتْنَةِ**

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٤/٢٥٥ ) .

**الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[1].

فمن فتن الموت أن يأتيك الشيطان ليصدك عن لا إله إلا الله ، ليصدك عن كلمة التوحيد ، هذه من الكربات ، هذه من أشد السكرات على ابن آدم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

**هل علمت أخي في الله** أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل حينما نام على فراش الموت

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (١٣٧٧) ، في الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم رقم ( ٥٨٨ ) ، في المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

ذهبت إليه الشياطين لتنادي عليه بهذه الكلمات ، قال عبد الله ولده : حضرت وفاة أبي فنظرت إليه فإذا هو يغرق ثم يفيق ثم يشير بيده ويتكلم ويقول : لا بَعْد ..!! لا بَعْد ..!! .

فلما أفاق في صحوة بين سكرات الموت وكرباته ، قال له ولده عبد الله : يا أبتي ماذا تقول ؟! تقول لا بعد ، لا بعد ..!! ما هذا ؟!!

**أتدرى ماذا قال إمام أهل السنة ؟؟**

قال لولده : يا بني شيطان جالس عند

رأسي عاضٌّ على أنامله يقول لي : يا أحمد لو فتني اليوم ما أدركتك بعد اليوم وأنا أقول له : لا بعد ، لا بعد حتى أموت على لا إله إلا الله .

فإذا كنت حقا من المؤمنين الصادقين .. من الموحدين المخلصين وجاءتك الشياطين ثبتك رب العالمين ، وأنزل إليك ملائكة التثبيت ، كما في حديث البراء بن عازب الصحيح ، وسأذكر الحديث بتفصيله لاحقًا إن شاء رب العالمين ، إلَّا أن محل الشاهد فيه الآن أن النبي

ﷺ أخبر : (( أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا نَامَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ جَاءَتْهُ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ فَيَجْلِسُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِ مَدَّ البَصَرِ حَتَّى يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَيُنَادِي عَلَى رُوحِهِ الطَّيِّبَةِ وَهُوَ يَقُولُ : أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ رَاضٍ عَنْكِ غَيْرِ غَضْبَانَ ، فَتَخْرُجُ رُوحُ الْمُؤْمِنِ سَهْلَةً سَلِسَةً

كَمَا يَسِيلُ المَاءُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ فَلا تَدَعُهَا المَلائِكَةُ فِي يَدِ مَلَكِ المَوْتِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، ثُمَّ تَرْقَى بِهَا إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلا .. ))[1].

**هكذا أيها الأحبة ..**

﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [ إبراهيم : ٢٧ ]

---

(١) رواه **البخاري** رقم ( ١٣٦٩ ، ٤٦٩٩ ) ، في الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، **ومسلم** رقم (٢٨٧٠ ) ، في الجنة ، باب عرض مقعد الميت .

ولقد سجل الله هذه البشارة للموحدين في قرآنه العظيم فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

[ فصلت : ٣٠ - ٣٢ ]

وقال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾

[ إبراهيم : ٢٧ ]

**قال ابن عباس** : القول الثابت هو لا إله إلا الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء . ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[ ق : ١٩ ]

**والحق** أنك تموت والله حي لا يموت ، الحق أن ترى عند موتك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

**والحق** أن يكون قبرك روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ﴿ **ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ ذلك ما كنت منه تهرب .

تحيد إلى الطبيب إذا جاءك المرض ، وتحيد إلى الشراب إذا أحسستَ بالظمأ ، ثم ماذا أيها القوي الفَتِي ؟! ثم ماذا أيها العبقري الذكي ؟! ثم ماذا أيها الوزير والأمير ؟! ثم ماذا أيها الكبير والصغير ؟! ثم ماذا أيها الغني والفقير ؟!

كُل بَاكٍ فَسَيَبْكِي    وَكُلُّ نَاعٍ فَسَيُنْعَى
كُل مَذْكُورٍ سَيُنْسَى    لَيْسَ غَيْرُ الله يَبْقَى
مَنْ عَلَا فَاللهُ أَعْلَى

أَيَا مَنْ يَدَّعِ الفَهْم    إِلَى كَمْ يَا أَخِي الوَهم
تَعِبُّ الذَّنْبَ وَالذَّنْب    وَتُخْطِئُ الخَطَأ الجم
أَمَا بَانَ لَكَ العَيْب ؟    أَمَا أَنْذَرَكَ الشَّيب
وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْب

أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوت    أَمَا نَادَى بِكَ المَوْتْ
أَمَا تَخْشَى مِنَ الفَوْت    فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَم
فَكَمْ تَسَيرُ فِي الهَوَى    وَتَخْتَالُ مِنَ الزَّهْو

كَأَنِّي بِكَ تَنْحَط إِلَى اللَّحْدِ وَتَنْغَط
وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهط إِلَى أَضْيَقِ مَنْ سَم
هُنَاكَ الجِسْمُ مَمْدُود لِيَسْتَأْكِلَهُ الدُّود
إِلَى أَنْ يَنْخُرَ العُود فَيُمْسِي العَظْمَ قَدْ رَم
فَزَوِّدْ نَفْسَكَ الخَيْر وَدَعْ مَا يَعْقِبُ الضَّيْر
وَهَيِّئْ مَرْكِبَ السَّيْرْ وخَفْ مِنْ لُجَّةِ اليَم
بِذَا أُوصِيكَ يَا صَاحِ وَقَدْ بحتكَ مِنْ بَاح
فَطُوبَى لِفَتى رَاحِ بِقُرْآنِ الرَّبِّ يَهْتَم
وَبِآدابِ مُحَمَّدِ يَأْتَم

وصدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ كَلا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ إذا بلغت الروح الترقوة ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ من يرقيه ؟!! من يرقى بروحه ؟!! ملائكة الرحمة ؟ أم ملائكة العذاب ؟ .

من يبذل له الرقية ؟ من يبذل له الطب والعلاج ؟! فهو من هو ؟!! صاحب الجاه والسلطان ! صاحب الأموال والأطيان ! انتقل في طيارة خاصة إلى أكبر مستشفى في

العالم ، التف حوله أكبر الأطباء يريدون شيئًا وملك الملوك أراد شيئًا آخر .

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [ الأعراف : ٣٤ ]

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [ النساء : ٧٨ ]

والتف حوله الأطباء مرة أخرى ، كل يبذل له العلاج والرقية !! ولكن حاروا وداروا !!

اصفر وجهه ، شحب لونه ، بردت أطرافه ، تجعد جلده ، بدأ يشعر بزمهرير قارس يزحف إلى أنامل يديه وقدميه !!

فينظر في لحظة السكرة والكربة فيرى الغرفة التي هو فيها مرة فضاءً موحشًا ومرة أخرى أضيق من سم الخياط .

وينظر مرة فيجد أهله يبتعدون عنه وأخرى يقتربون منه ، اختلطت عليه الأمور والأوراق !!

من هذا ..؟!! ملك الموت !! ملك الموت عند رأسه ، ومن هؤلاء الذين يتنزلون من السماء ؟!!

إنه يراهم بعينه ، إنهم الملائكة !! يا ترى ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟!!

**يا ترى ماذا سيقول ملك الموت ؟!!**

هل سيقول لي الآن : يا أيتها الروح الطيبة ! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ورب راض غير غضبان ؟!! أم يقول يا أيتها الروح

الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وعذابه ؟

ينظر لحظة الصحوة بين السكرات والكربات ، فإذا هو يعي من حوله من أهله وأحبابه فينظر إليهم نظرة استعطاف !! نظرة رجاء !!

فيقول بلسان الحال وربما بلسان المقال : يا أولادي .. يا أحبابي .. يا إخواني لا تتركوني وحدي ، ولا تفردوني في لحدي !!

أنا أبوكم ، أنا الذي بنيت لكم القصور !! أنا

الذي عَمَّرت لكم الدور! أنا الذي نمَّيت لكم التجارة !! فمن منكم يزيد في عمري ساعة أو ساعتين ؟

فدُّوني بأموالي .. فدُّوني بأعماركم !!

وهنا يعلو صوت الحق كما قال جل وعلا :

﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾

**وقد سجل التاريخ** لهارون الرشيد عندما نام على فراش الموت فنظر إلى جاهه وماله وقال : ما أغنى عني ماليَه .. هلك عني

سلطانيَه !!

ثم قال : أريد أن أرى قبري الذي سأدفن فيه !!

فحملوه إلى قبره ، فنظر هارون إلى القبر وبكى ونظر إلى السماء وقال : يا من لا يزول ملكه ... ارحم من قد زال ملكه .

أين الجاه ؟! أين السلطان ؟! أين المال ؟! أين الأراضي والأطيان ؟! ذهب كل شيء !!

سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان ذي

الملك والملكوت ، سبحان من كتب الفناء على جميع خلقه ، وهو الحي الذي لا يموت .

سبحانك يا من ذَلَّلْت بالموت رقاب الجبابرة .

سبحانك يا من أنهيت بالموت آمال القياصرة .

**سأل سليمان بن عبد الملك** عالمًا من علماء السلف يقال له : أبو حازم ، فقال : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟!

قال أبو حازم : لأنكم عمرتم دنياكم ،

وخربتم أخراكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب !!

**أحبتي في الله** : في زيارة إلى أمريكا نبهني أحد القائمين على الدعوة هناك برجل مَنَّ الله عليه بالأموال ، وهو مسلم عربي ومع ذلك لا يصلي ، ولا يعرف حق الكبير المتعال ، ذهبت إليه لأذكره بالله فقال لي بلسان المقال : أنا أتيت إلى هذه البلاد من أجل الدولار ، وأعدك إن عدت إلى بلدي لا أفارق المسجد قط .

**قلت** : سبحان الله .. ومنْ يضمن لك يا مسكين أنك سترجع إلى بلدك ؟!! ، أو أن يمر عليك يوم بكامله ؟!!

والله لا تضمـن أن تتنفس بعـد هـــذه اللحظات .

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنْ الصِّبَا
وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ
لَـمْ يَنْسَهُ المَلَكَـانِ حِيـنَ نَسِـيتَهُ
بَلْ أَثْبَتَــاهُ وَأَنْــتَ لَاهٍ تَلْعَـبُ

وَالرُّوحُ مِنْكَ وَديعَـةٌ أَوْدعتَهَا
سَتَرُدُّهَـا بِالرَّغْـمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَـاكَ الَّتِي تَسْعَـى لَهَـا
دَارُ حَقِيقَتهَـا مَتَـاع يُذْهَـبُ
اللَّيْـلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَـارُ كِلَاهُمَـا
أَنْفَاسُـنَا فِيهِمَا تُعَـد وَتُحْسَبُ

دنياك مهما طالت فهي قصيرة .. ومهما عظمت فهي حقيرة .. لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر.. ولأن العمر مهما طال

لابد من دخول القبر .

**ثم سأل سليمان بن عبد الملك** ، فقال : يا أبا حازم كيف حالنا عند الله تعالى ؟!!

قال : اعرض نفسك على كتاب الله .

قال سليمان : أين أجده ؟!!

قال : في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ [الانفطار : ١٣ - ١٤]

قال سليمان بن عبد الملك : فأين رحمة الله يا أبا حازم ؟!!

قال أبو حازم : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦]

فقال سليمان بن عبد الملك : فكيف عَرْضُنَا على الله غدًا ؟ .

قال : أما المحسن فكالعبد الغائب من سفر يقدمُ على أهله ، فيستقبله الأهل بفرح ، والمسيء كالعبد الآبق يقدِمُ على مولاه .

**وفي الصحيحين** من حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال : (( مَنْ أَحَبَّ لِقَاءِ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ

اللهُ لِقَاءَهُ » .

قالت عائشة : يا رسول الله أكراهية الموت ؟ كلنا يكره الموت .

قال : « لَا يَا عَائِشَةُ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِسَخَطِ اللهِ وَعَذَابِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ »[1] .

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٥٠٧) ، في الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومسلم رقم ( ٢٦٨٣ ) ، في الذكر والدعاء .

**وفي صحيح البخاري** من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (( **إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ وَحَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى الأَعْنَاقِ تَكَلَّمَتْ وَسَمِعَهَا كُلُّ شَيءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ - أَوْ قَالَ : إِلَّا الإِنْسَانَ - وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصُعِقَ ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي !! وَإِنْ كَانَتْ غَيرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ : يَا وَيْلَهَا ..!! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا !!** ))[1]

(١) رواه **البخاري** رقم (١٣١٤) ، في الجنائز .

اللهم سلم .. سلم .

أيها اللاهي .. أيها الساهي .. أيها الشاب .. أيها الكبير .. أيها الصغير .. أيها الأمير .. أيها الوزير .. أيها الحقير ..

ذكر نفسك ، وقل لها !!

**يَا نَفْسُ قَـدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ**

**وَأَظَلَّـكِ الخَطْبُ الجَلِيـلُ**

**فَتَأَهَّبِـــي يَا نَفْـــسُ لَا**

**يَلْعَبُ بِكِ الأَمَلُ الطَّوِيلُ**

فَلَتَنْـزِلَـنَّ بِمَنْـــزِلٍ
يَنْسَى الخَلِيـل بِـهِ الخَلِيل
وَلَيَرْكَـبَنَّ عَلَيْـكَ فِيـــهِ
مِنَ الثَّـرَى حِمْـلٌ ثَقِيـــلُ
قُـرِنَ الفَنَـاءُ بِنَـا جَمِيعًـا
فَلَا يَبْقَى العَزِيزُ وَلَا الذَّلِيلُ

فيا من أسرفت على نفسك بالمعاصي !! يا من تركت الصلاة في بيوت الله !! يا من تركتِ الحجاب الشرعي وضيعت الصلاة !!

يا من شغلك هُبَل العصري « التلفاز » والشيطان عن الله ﷻ !! يا من أعرضت عن مجالس العلم وأماكن الخير والطاعة والعبادة !! يا من قضيت عمرك على المقاهي وتركت طاعات الله .

تُبْ من الآن إلى الله وسيقبل الله توبتك إن كانت خالصة لوجهه قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ**

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

**أقول لك أخي الحبيب** : تُبْ إلى الله ولا تيأس مهما بلغت ذنوبك ، مهما كثرت معاصيك اطرق باب الرحمن ، فلن يغلقه الله في وجهك قط ما دمت تستغفر وتتوب إليه ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [ النساء : ٤٨ ]

فعاهد نفسك من الآن على التوبة أينما كنت .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً

نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[التحريم: ٨]

ويقول النبي ﷺ : « قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدْسِي : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا

أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ))[1].

**أيها الحبيب** : اجتهد في الدنيا وَعَمِّر الكون واربح ما استطعت من أموال ولكن بشرطين

(١) رواه الترمذي رقم ( ٣٥٣٤ ) ، في الدعوات ، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم ( ١٢٧ ) ، وهو في **صحيح الجامع** رقم ( ٤٣٣٨ ) .

أن تربح من حلال ، وتؤدي حق الكبير المتعال .

اجتهد في الدنيا وازرع للآخرة ، فأنا لا أريد أن أقنّتك من هذه الحياة قط وإنما أريد أن أذكر نفسي وإياك بأن الدنيا مزرعة للآخرة ، فلا ينبغي أن ننشغل بالدار الفانية على الباقية ، فغدًا سترحل عن هذه الحياة ولن ينفعك إلا ما قدمت .

**« يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثٌ ، مَالُهُ ، وَأَهْلُهُ ، وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ**

وَيَبْقَى عَمَلُهُ ))[1].

رَجَعُوا وَتَرَكُوكَ

وَفِي التُّرَابِ وَضَعُوكَ

وَلِلْحِسَابِ عَرَضُوكَ

وَلَوْ ظَلُّوا مَعَكَ مَا نَفَعُوكَ

ولم يبقَ لك إلا عملك مع رحمة الحي الذي لا يموت .

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم ( ٦٥١٤ ) ، في الرقاق ، باب سكرات الموت ، ومسلم رقم ( ٢٩٦٠ ) ، في الزهد في فاتحته ، والترمذي رقم (٢٣٨٠) ، في الزهد .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا المختار .